الفصل الثالث

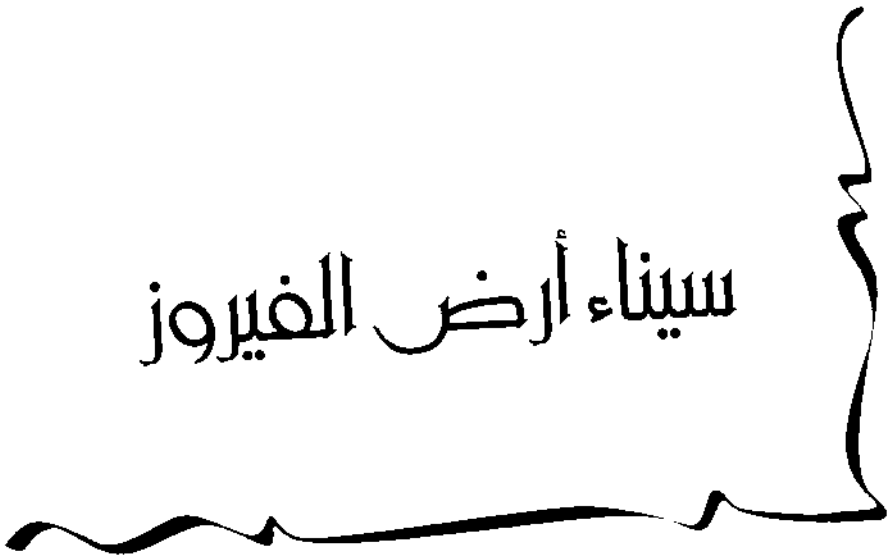

« خـط المضايـق.. هـو معقـل
سيـنـاء ومفتاحهـا الحـاكم »
د. جمال حمدان

(١) جغرافيه سيناء العسكرية:

سيناء برمتها وحده جيوستراتيجيه واحده[١] لكل جزء فيها قيمته الاستراتيجيه الحيويه، ويمكننا اعتبار خط عرض ٣٠ تقريباً، يقسم سيناء الى مثلث جنوب الخط ومستطيل شمال الخط.

(أ) المثلث الجنوبي:

هو منطقه العزلة والالتجاء .. وأهميته في سواحله، وبالأخص عند شرم الشيخ التي تعد المفتاح الاستراتيجي للمثلث الجنوبي برمته، حيث تتحكم في كل خليج العقبه دخولا وخروجا، أما الطريق الساحلي الممتد من طابا حتى راس محمد ثم نهايته حتى السويس فلا يعتبر من محاور الحرب.

(ب) المستطيل الشمالي:

قيمته الاستراتيجية فائقة، حيث يعتبر مركز الثقل الاستراتيجي لكل سيناء، فهو طريق الحرب، ومسرح الحروب قديما وحديثا، من يسيطر على المستطيل يتحكم تلقائيا في المثلث الجنوبي، وبالتالي يتحكم في سيناء بالكامل.

والمستطيل من الناحية الجيوستراتيجية تتلخص أبعاده في ثلاثيتين من المحاور الاستراتيجية.

الثلاثية الأولى: وهي المحاور الاستراتيجية للتقدم والحركة من مصر إلى فلسطين.

والثانية: تمثل خطوط الدفاع الأساسية عن مصر، والثلاثيتان تتقاطعان وتتعامدان لتنسجان الشبكة الفعالة والحاكمة في أي صراع مسلح على مسرح سيناء، كذلك تتحدد مفاتيح سيناء الاستراتيجية عند هذه التقاطعات.

(١) جمال حمدان، شخصية مصر، ج٢ - ص٧٥٨ - ٧٧٢.

(٢) محاور سيناء الاستراتيجية:

(أ) المحور الشمالي:

يوازي الساحل ويبدأ من القنطرة حتى رفح ومنها إلى فلسطين والمحور يحده من الشمال مستنقعات الساحل الرخوة ومن الجنوب الكثبان الشاسعة المفككة والتي لا يمكن للمركبات اختراقها.... والطريق يصلح فقط للحملات الخفيفة ولا يصلح للحملات الميكانيكية الثقيلة وبذلك أصبح المحور الأوسط هو المحور الأساسي الأهم والأخطر.

شاطئ البحر رسوبي لا يصلح للاقتراب أو رسوُ السفن الكبيرة... ويمكن للسفن الصغيرة أن تدخل موانيه.. وتستطيع المدفعية البحرية أن تقصف من عمق البحر أجناب المحور – وكذلك يمكن لوحدات الكوماندوز والضفادع البشرية التسلل إليه من البحر.

ومنطقة العريش تبعد عن رفح مساحة ٥٠ كم وهي غنية بمياهها الصالحة للشرب، أما مدينة[١] العريش قاعدة ادارية كبيرة تخدم القوات المصرية في معظم أجزاء سيناء لوقوعها على خط السكة الحديدي، وبها تكديسات ضخمة من المواد والاحتياجات المختلفة وبها مطار ممتاز صالح لجميع الطائرات الحديثة، وفيها أيضا مستشفيات مدنية وعسكرية وهي عاصمة سيناء، ولها أهمية سياسية خاصة.

وطبيعة الأرض بالعريش تمنح المدافع عنها امتيازات على شكل مضايق شرق المدينة لا بد للعدو من اختراقها للوصول إلى العريش. ويتميز المحور الشمالي بوجود مضايق كثيرة تمنح المدافع ميزة استراتيجية.. كذلك لا تسمح طبيعة الأرض في كثير من أجزائها الخروج عن الطريق المرصوف حتى قناة السويس والمحور لا يسمح بالمناورة ـ الالتفاف والتطويق ـ وهو ما يفرض على العدو الهجوم بالمواجهة الذي هو أصعب أنواع الهجوم، حيث يكلف القوات المهاجمة خسائر شديدة مع صعوبة اختراقه ـ ولا نقول استحالة اختراقه ـ إذا أحسن الاستفادة بطبيعة الأرض.

الأمر الذي يجعل المحور الشمالي محوراً ثانوياً .. لا وجه للمقارنة في الأهمية بالنسبة للمحور الأوسط من وجهة نظر العدوالمهاجم من الشرق.

---

(١) الفريق الحديدي، شاهد على حرب ٦٧، ص١١٩.

(ب) المحور الأوسط:

وهو العمود الفقري بلا منازع في محاور سيناء الاستراتيجية الثلاثة، وهو طريق الخطر الأول، ويرجع ذلك لأنه صالح تماماً لتحرك الحملات الميكانيكية الثقيلة.. أي صالح لجميع أنواع الحملات الميكانيكية، نظراً لأرضيته الصلبة الثابتة، ويؤدي مباشرة إلى قلب الدلتا والقاهرة.

يبدأ المحور إزاء مدينة الإسماعيلية، ثم ممر الخاتمية الهام – الذي يقع بين جبل الخاتمية شمالاً وجبل أم خشيب جنوباً – ثم يستمر المحور مشرقاً، حتى مضيق الجفجافة، ويقع بين جبل المغارة في الشمال وكتلة جبل يعلق في الجنوب – ويعتبر مضيق الجفجافة الفتحة الحاسمة، ومفتاح المحور كله، ثم يتجه المحور شمال شرق حيث يمر من فتحة ثانوية (بين جبل لبنى في الشمال وجبل الحلال في الجنوب- ومن هنا أهمية جبل لبنى ويستمر حتى أبو عجيلة).

وباستثناء بعض المضايق، التي على المحور الأوسط عند أم قطف والخمية وبين روض سالم، وهي مضايق على المستوى التكتيكي، فإن الأرض عموماً مفتوحة، وتعتبر مثالية للمناورة ـ الالتفاف والتطويق ـ أي أنها مناسبة جداً للمهاجم أي للعدو في العمليات الهجومية، وبذلك يعتبر المحور الرئيس المناسب جداً لهجوم إسرائيل.

والنجاح على هذا المحور حتى في المراحل الأولى، أي الوصول إلى تقاطع هذا المحور مع الطريق الطولي الواصل من المحور الشمالي، إلى جبل لبنى، يؤدي إلى عزل وتجميد القوات المصرية، الموجودة بالمحور الشمالي نظراً لعدم وجود طرق طولية أخرى تصل بين المحور الشمالي والمحور الأوسط، بالإضافة إلى تأثير هذا المحور على جنب القوات التي تعمل على المحور الجنوبي.

ويؤدي المحور في النهاية إلى الضفة الشرقية من قناة السويس عند مدينة الإسماعيلية، وتقع على المحور قاعدتان جويتان، أحدهما في منطقة السر، وهي على الطريق من العريش إلى جبل لبنى، وجنوب العريش ٥٠ كم، والقاعدة الأخرى هي قاعدة المليس الجوية، وتشمل مطارين مزودين بأحدث المعدات وصالحين لجميع أنواع الطائرات، وأحدهما في منطقة بئر تماده والآخر بالمليس.

(ج) المحور الجنوبي (من السويس حتى القسيمة):

- وهو خط اقتراب أقل أهمية، لا يصلح إلا للحملات الخفيفة فقط كما يعتبر نسبياً لفة غير مباشرة بعيدة نوعاً عن اقطاب الصراع على جانبي سيناء.

- من السويس يتجه المحور إلى الكوبرى والشط ثم يصل إلى ممر متلا وهي الفتحة الجبلية الحاكمة للمحور بأسره والتي منها يمكن تحديد الحركة عليه.... وايقاف الزحف المعادي فوقه.. ومن هنا أهمية الممر. ثم يتجه المحور شمال شرق إلى اعلى وادي البروك ثم إلى الجنوب من جبل الحلال، إلى القسيمه (قرب الحدود السياسية).

محور فرعي (ضمن المحور الجنوبي):

- من المحور الجنوبي، بعد ممر متلا، تخرج شعبة تتجه جنوب شرق، ماره بنخل ـ في قلب سيناء ـ ثم إلى ألتمد، وأخيراً إلى رأس النقب قرب طابا.

- وعند التمد تخرج شعبة نحو الشمال الشرقي إلى الكونتلا. والمحور يسمح للقوات الإسرائيلية التي عليه أن تصل وتتعاون مع قوات المحور الأوسط نظراً لطبيعة الأرض المفتوحة التي تصل بين المحورين.

والمحور لا يخدمه قواعد في الأراضي الإسرائيلية يمكن الاعتماد عليها فأقرب قاعدة تبعد عن الكونتلا مسافة بعيده، علاوة على أنها تحتاج إلى تجهيزات كثيرة لإعدادها كقاعدة هجوم، وفي نهاية المحور يربض ممر متلا، ويمتد لأكثر من ٤٠ كم، ويعتبر مضيقاً طبيعياً غاية في المناعة، يسهل الدفاع عنه بأقل قوات إذ يصل اتساعه في بعض الأجزاء إلى أقل من خمسين متراً... ولا يزيد عن كيلو متر واحد.

يوجد وادي الجدى شمال ممر متلا ببضع كيلو مترات، وطبيعة الأرض فيه متهايلة، أما جنوب ممر متلا فالأرض يمكن السير عليها ولكن بصعوبة كبيرة وبعدد محدود من المركبات لنصل في النهاية إلى سدر.

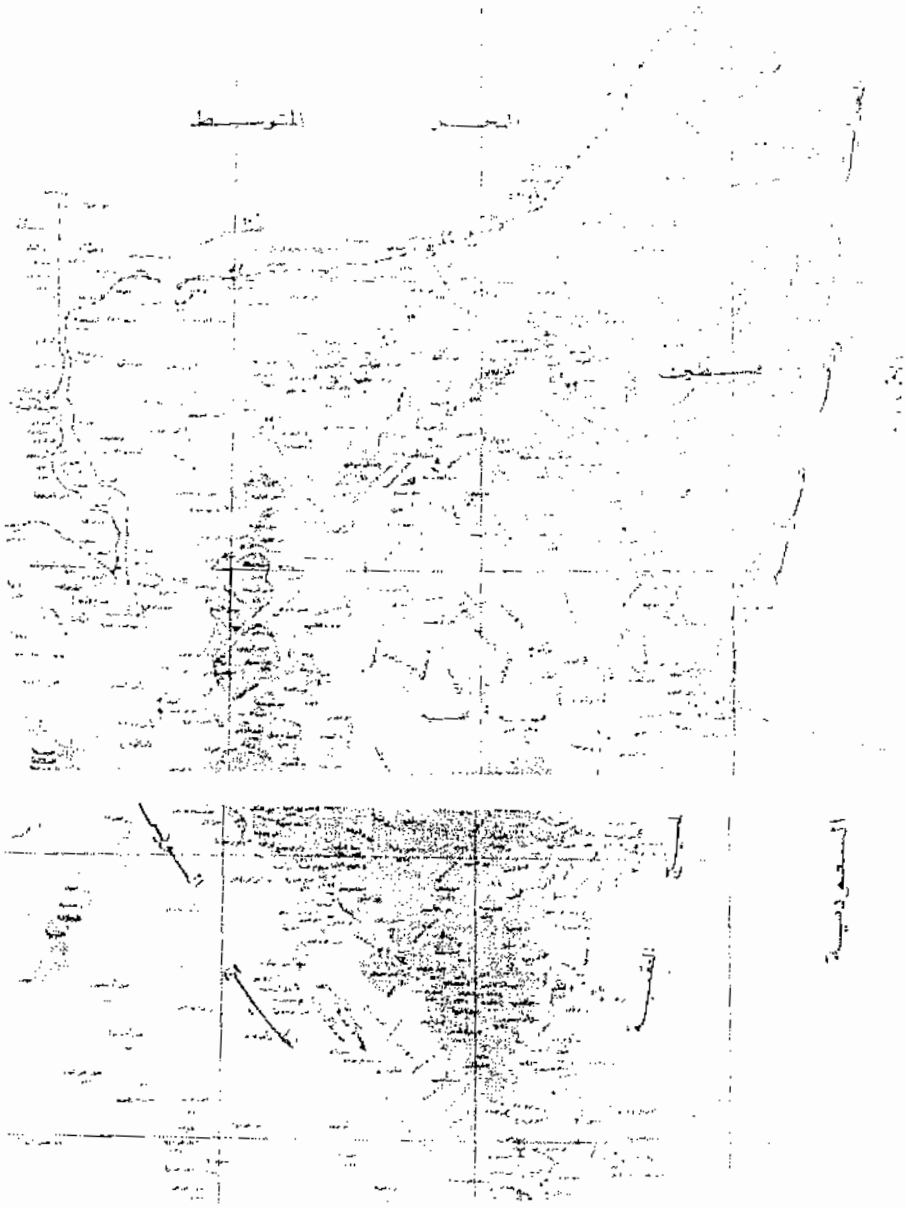

خريطة سيناء

خلاصة دراسة أرض سيناء جغرافياً:

يتضح من الدراسة السابقة أن المحور الأوسط هو الاتجاه الأفضل والأساسي لأي عمليات هجومية من إسرائيل، وليس معنى ذلك اكتفاء إسرائيل استخدامه دون

المحورين الآخرين، ولكن يمكن شغلنا وخداعنا بالهجوم على المحورين الآخرين، لتأمين تحرك القوة الرئيسية على المحور الأوسط.

والنتيجة أن ثقل الضربة الرئيسية لهجوم إسرائيل يوجه على المحور الأوسط، وعلى ذلك اعتبرت القيادة المصرية المحور الأوسط هو اتجاه المجهود الرئيسي للقوات مع وضع قوات على المحورين الآخرين "الشمالي، والجنوبي" تتناسب مع أهميتهم.

(٢) خطوط الدفاع الاستراتيجية:

حددت الجغرافيا العسكرية المناطق الاستراتيجية الحاكمة والمسيطرة على مدخل مصر الشرقي من إسرائيل، وكذلك حددت خطوط الدفاع عن حدود مصر... التي لم يكن للعسكريين فيها أي اختيار.... وبذلك حسمت الجغرافيا أي خلاف بينهم في تحديد أهم وأخطر قضية يتم بحثها عند وضع خطة الدفاع عن الدولة حيث تحددت في ثلاث خطوط دفاعية أساسيه بوضوح كامل... وتتعاقب من الشرق إلى الغرب.. أي من الحدود السياسية مع إسرائيل وحتى قناة السويس كالأتي:

- **الخط الأول:** قرب الحدود من العريش حتى طابا.
- **الخط الثاني:** خط المضايق من السويس إلى البردويل.
- **الخط الثالث:** قناة السويس، إلا أننا سوف نستبعد هذا الخط من دراستنا باعتباره ليس من خطوط الدفاع عن سيناء.

وكل خط من الخطين الأول والثاني يعبر عن معركة منفصلة، وسقوط الأول يفتح الطريق إلى الخط الثاني، أما سقوط الثاني فهو سقوط سيناء بأكملها.

وقد كانت هذه النقط والمناطق الاستراتيجية الحاكمة لأرض مصر موضع اهتمام علماء العالم منذ القدم، باعتبار أن عليها قامت أول حضارة في التاريخ وكذلك لوجود الأماكن الدينية التاريخية بها، وبذلك أصبحت المعرفة الدقيقة لطبيعة أرض سيناء متاحة للجميع بما فيهم الصهاينة.

ويعتبر الكتاب[1] الذي وضعه الفيلد مارشال ويفل مرجعاً سليماً للعمليات الحربية، التي قامت بها القوات البريطانية لغزو فلسطين في أثناء الحرب العالمية الأولى، وقام بوصف مسرح العمليات في سيناء وفلسطين وصفاً دقيقاً، لذلك فإن

(١) نفس المرجع، ص٩٢.

التخطيط للهجوم الإسرائيلي سيعتمد أيضاً على الوصول إلى هذه النقط والأماكن الاستراتيجية الحاكمة، والتي بالسيطرة عليها تفتح له الطريق إلى النصر.

(أ) خط الدفاع الأول (من طابا ورأس العقبة حتى منطقة العريش):

يبدأ الخط بطابا ورأس النقب على الخليج في منطقة حرجة استراتيجياً، حيث تتقارب حدود أربع دول (مصر، إسرائيل، الأردن، السعودية) ويمثل "رأس النقب" مجمع طرق طبيعية وأودية.. ثم يمتد الخط إلى الكونتلا ويقع على هضبة عالية مشرفة تسيطر على المنخفضات والطرق والأودية المحيطة، وهي بهذا نقطة حصينة للغاية كذلك بها مصدر المياه الوحيد بالمنطقة، ومنها إلى أبو عجيلة، وهو مضيق لا بد من عبوره، وقد أثبت هذا الموقع نجاحاً كبيراً في حرب ١٩٥٦، ويلاحظ من دراسة الخط الآتي:

- الخط من طابا حتى القسيمة الأرض عاليه ومشرفه وحصينة طبيعياً بدرجة أو بأخرى إلا أنها بعيدة نوعاً عن التحركات العسكرية.

أما من القسيمة إلى مدينة العريش فالقطاع متوسط الارتفاع إلى منخفض تتراوح من ٥٠٠ ـ ٢٠٠ متر حتى يصل إلى مستوى سطح البحر، وهو يبدو كالعنق أو الرقبة العريضة، وبالرغم من عدم تجاوز هذا القطاع إلا نحو ثلث الخط الدفاعي كله، فإنه يعد بصورة مطلقة مركز الثقل والخطر، لأنه تجمع نهايات محاور الخطر الثلاثة:

- العريش على المحور الشمالي.
- أبو عجيلة على المحور الأوسط.
- القسيمة على المحور الجنوبي.

لذلك اعتبره بعض العسكريين القاعدة الاستراتيجية الحقيقية للدفاع عن مصر – مثل السير أرتشيبولد مرى في الحرب العالمية الأولى.

(ب) خط الدفاع الثاني (خط المضايق أو خط الممرات ـ خط الموت):

خط جبلي للغاية وبالغ الوعورة والمنعة في القطاع الجنوبي والأكبر منه، بينما يتحول إلى بحر من الرمال المفككة والمستنقعات السبخة في قطاعه الشمالي، وهو بكامله غير صالح للاختراق أو عبور القوات الميكانيكية على الإطلاق، إلا من

خلال فتحات محددة بصرامة. وبالتالي **تتحكم تلك الفتحات بدرجة مطلقة في حركة أو تقدم الجيوش سواء من شرق سيناء إلى غربها أو العكس.**

والخط على مسافة تتراوح بين ٣٢، ٧٥ كم من قناة السويس، ويميل محوره من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

وأهم ممرين هما: ممرمتلا في الجنوب ومضيق الجفجافة في الشمال، وبقية الخط امتداد لهما على الجانبين شمالاً حتى البحر المتوسط بين محاور الحركة، كلاهما أوسط وعند تقاطعهما تتحدد واحد من أهم وأخطر مواقع سيناء وهو مضيق الجفجافة، وكانت إسرائيل حريصة جداً على التسابق عليه والاندفاع إليه بأي ثمن منذ اللحظة الأولى في الحرب سواء حرب ٥٦ أو ٦٧، وبذلك تصبح هذه الممرات اعتباراً من ممر متلا في الجنوب ومضيق الجفجافة في الشمال وكذلك من الممرات الثانوية "الجدى ـ سدر ـ الخاتمية" تمثل بغير جدال المفاتيح الاستراتيجية الحاكمة لسيناء بأكملها. **ويعد الخط بالإجماع وبلا نزاع وبصفة مطلقة .. الخط الدفاعي الحاكم والفاصل والسيطرة عليه تحدد وتحسم المعركة** سواء على يمينه أو يساره... فمن يسيطر عليه يجد الطريق مفتوحاً بلا عقبات تذكر إلى قناة السويس. كما أن المعركة إلى الشرق منه إنما بقايا تعاون لا تلبث أن تكتسح حتى الحدود... أما من يخسره فعليه أن يتوقع الهجوم فوراً على قناة السويس غرباً او الاكتساح والارتداد إلى الحدود شرقاً.

(ج) خط الدفاع الثالث (قناة السويس):

آخر خطوط الدفاع عن مصر النيلية ـ مع اعتبار أن وصول قواتنا إلى هذا الخط معناه سقوط سيناء في يد العدو ـ ويستند الخط الدفاعي على قناة السويس، والتي هي كمانع صناعي في حكم المانع الطبيعي، وفيها تصب نهايات محاور سيناء الثلاثة: المحور الشمالي يصل إلى القنطرة، والمحور الأوسط يصل إلى الاسماعيلية، والمحور الجنوبي يصل إلى السويس ـ الأمر الذي كشف عن الأهمية الاستراتيجية لهذه المدن حسب ترتيب أهمية المحاور الثلاثة لتكون الاسماعيلية ثم القنطرة ثم السويس.

- **الاسماعيلية:**

ظهرت كموقع استراتيجي جديد على خريطة مصر، حتى تألقت كعاصمة استراتيجية للقناة، ذلك أنها أخذت أهميتها من موقعها الذي هو في نهاية المحور الأوسط ـ أهم محاور سيناء الاستراتيجية ـ ثم أنها تتوسط القناة،

وفي نهاية وادي الطميلات، وعلى نهاية الترعة الحلوة ـ "ترعة الاسماعيلية" ـ التي تمد مدن القناة الثلاثة بماء النيل حيث تتشعب عند المدينة شمالا إلى بورسعيد، وجنوباً إلى السويس، وبذلك يصبح بها مفتاح صنبور الري الذي يتحكم في حياة مدن القناة وسكانها، الأمر الذي جعل من الاسماعيلية الهدف الاستراتيجي الطبيعي والمنطقي لأي عدو مهاجم من الشرق.

- **القنطرة:**

تحكم الطريق إلى بورسعيد، فالقناة بين بورسعيد والقنطرة تجري لمسافة ٤٠ كم في مضيق مختنق "رقبة الأوزة" بين السهل الطينة ـ الذي يمكن إغراقه، وحيث أغرقه الإنجليز فعلاً عام ١٩١٥ في أثناء الحملة التركية ـ وبحيرة المنزلة، التي لا يمكن اجتيازها غرياً، على أن مفتاح هذا القطاع يتحدد في القنطرة حيث تتسع الأرض لأول مرة بحرية وصلابة، ومن هنا يُسمى الموقع أحياناً بـ "**مضيق**" القنطرة، الأمر الذي يجعل ممن يسيطر على القنطرة يتحكم في بورسعيد "**دفاعاً وهجوماً**" حتى تصبح عملية الهجوم بالإنزال على بورسعيد محكوم عليها بالفشل إذا أحسن الدفاع عن القنطرة، ومنها كانت معركة "**رأس العش**" بعد يونيو "حزيران" مباشرة.

التقييم النهائي لقناة السويس كخط دفاعي عن مصر:

أنها سلاح ذو حدين استراتيجياً.. فهي ستار حامي للدفاع المصري ومانع حائل دون تقدم العدو من الشرق ولكن بالمنطق نفسه، وبالدرجة نفسها، يمكن أن تكون عائقاً في وجه العبور المصري إلى سيناء للتحرير والاسترداد.... وكان هذا هو درس يونيو "حزيران" ١٩٦٧.

كذلك أثبتت تجربة العبور في حرب ٧٣ أن القناة على مناعتها الكبرى – كمانع طبيعي ـ ليست بالمانع المطلق الذي لا يُخترق، فلقد تم عبورها في الاتجاهين. فقد كان من نتائج الحملة التركية لغزو مصر، ومحاولتهم عبور القناة، أن ألقت الضوء على النقط الاستراتيجية على خط القناة مثل "سرابيوم" و"طومسون" – والتي اختارها الأتراك في الحملة المذكورة، وبالتالي فقد أصبحت هذه النقط مُحل اعتبار لكل مخطط للدفاع عن خط القناة، اعتباراً من القادة الإنجليز حتى القادة المصريين بعد الجلاء، ومنها نشير من نفس هذه الزاوية إلى أن عبور القوات الإسرائيلية لقناة السويس من نفس هذه النقط التي أشرنا إليها ـ والمعمول حسابها

مسبقاً في خطط القادة المصريين - كانت لأسباب يعرفها كبار القادة المصريون لحرب ٧٣ ولم يتم الإفصاح عنها حتى الآن.